

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

التعريف العام بالسورة:

سورة العنكبوت
كلها مكية

سورة العنكبوت مكية عند جمهور العلماء⁽¹⁾، ونقل السيوطي استثناء آيات مدنية منها، من أولها إلى قوله: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنْفِقِينَ﴾ (العنكبوت: 11)؛ لما ورد في سبب نزولها، ويضم إليه قوله: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (العنكبوت: 60)؛ لما ورد أيضاً في سبب نزولها⁽²⁾، والحق أنه لم تثبت تلك الروايات التي ذكروها في أسباب النزول⁽³⁾، وقد عقب الدكتور دروزة بقوله: "فإننا نرجح أن السورة مكية، وهي من أواخر ما نزل من القرآن المكي، وقد اشتد في هذه الظروف أذى الكفار وإزعاجهم للمسلمين، ونظم الآيات والصور التي تضمنتها أقرب إلى النظم المكي، وصور العهد المكي منها إلى النظم المدني، وصور العهد المدني، والآيات التي تلت هذه الآيات التي قالوا بمدنياتها والتي يوجه الخطاب فيها إلى الكفار معطوفة عليها، ولا خلاف في مكيتها، وليس لرواية مدنية الآيات إسناد صحيح"⁽⁴⁾.

ترتيب النزول وترتيب المصحف وعد الآي:

سورة العنكبوت هي السورة التاسعة والعشرون في ترتيب المصحف الشريف، وهو الترتيب الثابت، والمُعَوَّل عليه عند أهل النظر والتحقيق، جاءت بين سورتي القصص والروم، وهي تسع وستون آية عند جميع أهل العدد⁽⁵⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 299 / 20، والسيوطي، الإتيان: 39 / 1.

(2) السيوطي، الإتيان: 62 / 1.

(3) الوادعي، الصحيح للسند في أسباب النزول، ص: 158.

(4) دروزة، التفسير العلمي الحديث: 468 / 5.

(5) الداني، البيان في عد آي القرآن، ص: 203.

وأما ترتيبها النُّزولي؛ فهي السُّورَةُ الْخَامِسَةُ والثمانون في تَرْتِيبِ نُزُولِ سُوْرِ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُوْرَةِ الرَّوْمِ وَقَبْلَ سُوْرَةِ الْمُطَفِّفِينَ⁽¹⁾.

دلالة التوقيت الزمني لنزول السورة:

قال ابن عاشور: "نزلت في أواخر سنة إحدى قبل الهجرة فتكون من أخريات السُّورِ الْمَكِّيَّةِ بِحَيْثُ لَمْ يَنْزَلْ بَعْدَهَا بِمَكَّةَ إِلَّا سُوْرَةُ الْمُطَفِّفِينَ"⁽²⁾، وقال الدكتور دروزة: "وهي من أواخر ما نزل من القرآن المكي، وقد اشتد في هذه الظروف أذى الكفار وإزعاجهم للمسلمين"⁽³⁾.

فضائل سورة العنكبوت:

لم يرد في فضل سورة العنكبوت خبر يصح، ومقصود هذا الباب جمع ما ورد في فضائل السورة من الآثار التي تنص على فضلها بشكل خاص.

❁ أسماء السورة الكريمة وسبب التسمية:

العنكبوت هو
الاسم الوحيد
للسورة

لهذه السورة اسمٌ واحدٌ مُشتهر لم تُسمَّ بغيره هو (العنكبوت)، حيث سُمِّيَتْ بهذا؛ بسبب انفرادها بذكر العنكبوت فيها: ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: 41]⁽⁴⁾، وهو الاسم الوحيد الذي اشتهرت به هذه السورة، وكتب في المصاحف وكتب التفسير والحديث، ولم يُثبت تسميتها باسم غيره. وأما وجه ارتباط هذا الاسم بمحور السورة؛ فلأنَّ السورة الكريمة قد أخذت على عاتقها بيان سنة الله تعالى في بيان عاقبة الأمم، التي كفرت بدعوة الأنبياء، فأنكرت لقاء الله، وأشركت به، وحاربت الأنبياء، واستعجلت العذاب، فبيَّنت أنَّ حضاراتهم قد

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 200 / 20.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 200 / 20.

(3) دروزة، التفسير العلمي الحديث: 5 / 468.

(4) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: 1 / 359.

أزيلت وطواها الزَّمان، فضربت السَّورة الكريمة المثلَ بهم بتشبيهِ حالهم بالأُمَّة العنكبوتية؛ لما يجمعهم من روابط حسيَّة ومعنويَّة، فكما أنَّ خيوط العنكبوت واهية لا تقي من الحرِّ ولا من القرِّ، فكذلك أَسانيدُ أهل الكفر واهية لا تغني عنهم شيئاً، وتضمَّن هذا التَّشبيه تماثل حال الأُمَّة العنكبوتية الممزَّقة بروابطها الأسريَّة والمجتمعيَّة المفكَّكة، بحال الأمم الكفريَّة التي لا يدوم شهودها الحضاريُّ مع وجود الكفر، وأنها تَفنى وتبلى، يقول البقاعيُّ: "فهي سورة ضعف الكافرين وقوَّة المؤمنين، وقد ظهر سرُّ تسميتها بالعنكبوت، وأَنَّهُ دالٌّ على مقصودها"⁽¹⁾.

❁ بيان محور السورة العام والموضوعات التي تلتفُّ حوله:

يتعلق محور السورة الكريمة حول الحثِّ على الاجتهاد في الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، والدُّعاء إلى الله تعالى وحمده من غير فترة، ومن غير تعريج على غيره سبحانه أصلاً؛ لئلا يكون حالهم مثَلَّ حال العنكبوت⁽²⁾، إذ جاء فيها الحديث عن تكاليف الإيمان والفتنة، وأنَّ الإيمان يستلزم الصَّبْر على المكاره⁽³⁾، وتفصيل ذلك كالآتي:

أولاً: تبين السورة أثر الاستقامة على دين الله تعالى في تحقيق الشُّهود أو الاضمحلال الحضاريِّ، من خلال استعراض مشاهد قصصية من دعوات بعض الأنبياء، الذين واجهوا أقوامهم بهذه الدَّعوة فما لقوا منهم سوى الجحود والكفران واستعجال العذاب، فأزال الله حضاراتهم، ودمَّر بنيانهم، وتوعَّدهم بالعذاب الأليم.

ثانياً: تبين السورة الكريمة أهداف هذه الدَّعوة على لسان أبي

تقريرُ سَنَةِ الله
في نُصرة المؤمنين
وزوال الظالمين

(1) البقاعي، نظم الدرر: 384 / 14.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 384 / 14.

(3) شحانة، أهداف كلِّ سورة ومقاصدها، ص: 284.

الأنبياء ﷺ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [العنكبوت: 16]، وعلى لسان شعيب: ﴿يَقُومُوا عِبَادُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [العنكبوت: 36].

ثالثًا: بيّنت السّورة الكريمة أنّ النّاس سينقسمون أمام هذه الدّعوة إلى أقسام ثلاثة: (مؤمنين، وكافرين، ومناققين)، وبيّنت جزاء كلّ فريق: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [العنكبوت: 7]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: 23]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَٰئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [العنكبوت: 10 - 11].

رابعًا: ناقشت السّورة الكريمة أسانيد هذا الكفر، وأبطلتها جميعها، من خلال عرض آيات الله في الأنفس والآفاق والتي تكشف لهم انفراد الله ﷻ بالضرّ والنفع دون غيره: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْءَ الْآخِرَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: 19 - 20]، وقوله: ﴿وَلَٰئِن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٢١﴾﴾ [العنكبوت: 21]، ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [العنكبوت: 22]، ﴿وَلَٰئِن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ نَّزَلٍ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [العنكبوت: 61 - 63]، ومن خلال تذكيرهم بنعم الله عليهم، وأهمّ هذه النعم نعمة الأمن: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت: 67].

خامسًا: اقتضى هذا المحور أن تُبيّن لهم أحوال المكذّبين من قبلهم: ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلٰغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾ [العنكبوت: 18]، وقوله: ﴿وَعَادَا وَنَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطٰنُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُم عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [العنكبوت: 28]، ﴿وَقَرُونْ وَفِرْعَوْنَ وَهَلَمَّنَّ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ

وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣١﴾ فَمَلَّأْنَا بَدْنَهُ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٢﴾ [العنكبوت: 38 - 40].

سادساً: كشفت السورة للمؤمنين حقيقة الحياة الدنيا إزاء الآخرة: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: 64]، وبيّنت لهم اضطراب أحوالهم عند وقوعهم في الشدة: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاوُا اللَّهَ تَخْلُصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [العنكبوت: 65 - 66]، وشبهت السورة الكريمة حالهم ببيت العنكبوت: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت: 41].

سابعاً: وجهت السورة الكريمة الدعاة والمؤمنين إلى عوامل النصر وتحقيق الشهود الحضاري، فضلاً عن تحقق الإيمان والعمل الصالح فيهم، ومن أهم ما يلزمهم في مهمتهم تلك فقه سنة الابتلاء: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾، وأن يدركوا أن الله تعالى هو الذي يراهم، وينجيهم من الكافرين، فعن نوح عليه السلام قال لهم: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [العنكبوت: 15]، وعن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت: 24]، وعن لوط: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتِكَ كَانَتْ مِنْ الْغَابِرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [العنكبوت: 33].

ثامناً: بينت السورة الكريمة أثر مجاهدة المؤمنين في تحقيق ما يصبون إليه: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: 29]، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت: 69]، واقتضى الأمر أن تفتح لهم باب الهجرة خارج وطنهم إن تعذر عليهم إقامة شعائرهم: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٣١﴾﴾ [العنكبوت: 56 - 57]، وأن تدعوهم إلى

بعض ما يقربهم من ناصرهم ومولاهم: ﴿أَتُلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [العنكبوت: 45].

موضوعات السورة وخصائصها:

جاء موضوع السورة كسائر السور المكية فافتتحت بالحروف المقطعة يُؤذَنُ بِأَنَّ مِنْ أَعْرَاضِهَا تَحْدِي الْمُشْرِكِينَ بِالْإِثْنَانِ بِمِثْلِ الْقُرْآنِ أَوْ سُورَةٍ مِنْهُ، وَجِدَالُ الْمُشْرِكِينَ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ الْأَصْلُ فِيمَا حَدَّثَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْمُعْبَّرِ عَنْهَا بِالْفِتْنَةِ فِي قَوْلِهِ هُنَا: ﴿أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، فَتَعَيَّنَ أَنَّ أَوَّلَ أَعْرَاضِ هَذِهِ السُّورَةِ تَثْبِيْتُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ فَتَنَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَصَدَوْهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ أَوْ عَنِ الْهَجْرَةِ مَعَ مَنْ هَاجَرُوا⁽¹⁾.

✽ الخصائص الموضوعية والأسلوبية لسورة العنكبوت:

الخصائص الموضوعية:

أولاً: تميّزت السورة الكريمة باشمالها على مشاهد قصصية متفاوتة لبعض الأنبياء وهم: نوح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وهود، وصالح ﷺ؛ إذ شغل القصص منها نحو سبع وعشرين آية من أصل تسع وستين، أي: بنسبة تسع وثلاثين بالمئة من آيات السورة الكريمة، وقد احتلت قصة إبراهيم ﷺ مع قومه الجزء الأكبر منها، وكان القاسم المشترك بين هذه القصص هو بيان مضمون هذه الدعوات وتكذيب الأقوام واستعجالهم بالعذاب، وإنجاء الله تعالى لرسله الكرام، بما يتفق مع محورها العام.

ثانياً: تفرّدت السورة الكريمة في قصر مجادلة أهل الكتاب على التي هي أحسن بقوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ

مَدَارُ السُّورَةِ
حَوْلَ بَيَانِ سُنَّةِ
اللَّهِ تَعَالَى فِي
بَيَانِ عَوَامِلِ
النُّهُوضِ
الْحَضَارِيِّ

تَمَيَّزَتْ سُورَةُ
الْعَنْكَبُوتِ
بِخَصَائِصٍ
تَتَنَاسَبُ مَعَ
مَوْضُوعَاتِهَا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20 / 200 - 201.

أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٦٦﴾ [العنكبوت: 46].

ثالثاً: تفرّدت السّورة الكريمة باستهلالها بالحديث عن الفتن: ﴿الْم ١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾.

رابعاً: ركّزت السّورة على قضية المجاهدة؛ فبيّنت أثر مجاهدة المؤمنين في تحقيق ما يصبون إليه: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، وقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت: 8]، واختتمت السّورة بقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: 69].

خامساً: ركّزت السّورة على قضية العلم، حيث وردت لفظة (العلم) بمشتقاتها المختلفة نحو خمس عشرة مرّة، ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾، ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [العنكبوت: 8]، ﴿وَإِنْ أُوْهِنَ الْبُيُوتُ لَتَبِثُ الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: 41]، ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: 49]؛ وذلك لأنّ للعلم أثره في تحقيق النهوض الحضاري للأمم التي دانت بدين الله ﷻ، فضلاً عن أثر هذا العلم في الاستقامة على دين الله تعالى.

الخصائص الأسلوبية:

أولاً: شاركت هذه السّورة سور (البقرة وآل عمران والروم ولقمان والسّجدة) هذه الحروف الثلاثة التي استهلّت بها هذه السّور الستة ﴿الْم﴾، ولا بدّ من وجود وشائج موضوعيّة وأسلوبية ربطت بين هذه السّور، إلّا أنّ الملاحظ أنّ سورتي العنكبوت والروم المتجاورتين لم يأت بعدهما حديث مباشر عن الكتاب كباقي السّور التي تبدأ بالحروف المقطّعة ﴿الْم﴾، خلا سورتين أخرتين بدأتا بحروف أخرى مقطّعة، وهما: مريم ونون، لكنّ هذه السّور الأربعة، وإن لم تستهلّ بالحديث عن الكتاب وتنزيله، فإنّها حوت من الأخبار والأحكام ما لا يمكن الوصول إليه إلّا بهذا الكتاب.

ثانيًا: تفرّدت السّورة الكريمة بصورة بيانيّة عجيبة في تشبيه حال الكافرين بالبيت العنكبوتيّ، وذلك للوشائج الحسيّة والمعنويّة الكثيرة بين البيّتين أو الحالّين؛ يقول الرّمانيّ: "فهذا تشبيه قد أخرج ما لا يُعلم بالبديهة إلى ما يُعلم بالبديهة، وقد اجتمعا في ضعف المعتمد، وهواء المستند، وفي ذلك التّحذير من حمل النّفس على الغرور بالعمل على غير يقين، مع الشّعور بما فيه التّوهين"⁽¹⁾.

ثالثًا: تفرّدت السّورة الكريمة بضربها المثل بالحياة الآخرة بأنّها الحيوان: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 64]، وهذا الوصف لم يرد في سورة أخرى ليبينّ لهم حقيقة الحياة الدّنيا وتصويب القيم والموازن بميزان الله ﷻ.

يقول السّامرائيّ: "الحيوان: مصدر على وزن (فعلان)، مثل: غَثَيان وفَيْضان ودَوْران وغَلَيان، والحيوان: صيغة في المصادر تدلّ على الحركة المستمرة والحدوث، وهي أعلى أنواع الحياة؛ لأنّ من أهمّ صفات الحياة الحركة، فالحياة الدّنيا عبارة عن نوم وسُبات بالنسبة للآخرة، وهي ليست حياة؛ إذا ما قورنت بالآخرة من حيث الحركة المستمرة، والآخرة كلّها حركة وفيها سعيّ وتفكّر وانتقال، وليس فيها نوم، ولو استعملت كلمة الحياة؛ لدلّت على التّقلّب فقط، ولم تدلّ على الحركة والحدوث فناسب استعمال كلمة الحيوان مع الحركة والحدوث الذي يكون في الآخرة"⁽²⁾.

رابعًا: تميّزت السّورة الكريمة بأنّ أغلب فواصلها قد انتهت بجمع المذكر السّالم أو بالفعل المضارع المرفوع بثبوت النّون، وشابهت بهذا الأسلوب جارتيّها (الشّعراء والقصص)؛ لذا فأكثر فواصل سورة العنكبوت تنتهي بحرف النّون، والشّواهد على ذلك كثيرة بلغت نحو تسع وخمسين فاصلة من أصل تسع وستين حوتها السّورة.

خامسًا: تميّزت السّورة الكريمة بتكرّر بعض الألفاظ فيها بشكل لافتٍ مقارنة مع غيرها، فمن ذلك لفظة العلم حيث وردت ثلاثًا وعشرين مرّة، والفعل المضارع المفرد

(1) الرّمانيّ، التّكت في إعجاز القرآن، ص: 84.

(2) السّامرائيّ، لمسات بيانية، ص: 639.

﴿يَجْحَدُ﴾ حيث ورد مرّتين من أصل ثلاث في القرآن الكريم⁽¹⁾، وكذلك لفظة ﴿الْعَلَيْنِ﴾ حيث جاءت في ثلاث فواصل من السّورة الكريمة⁽²⁾، وكذلك لفظة ﴿أَوْثَنَّا﴾ حيث وردت منكّرة مرّتين في السّورة الكريمة، وجاءت مرّةً واحدة معرّفةً في سورة الحجّ⁽³⁾، ولم ترد في القرآن الكريم خلاف ذلك، ووردت فيها لفظة (أثقال) ثلاث مرّات من أصل خمس مرّات في القرآن الكريم⁽⁴⁾، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [العنكبوت: 13].

سادساً: تميّزت السّورة الكريمة في أسلوبها بذكر بعض الأبنية والمشتقات الصّرفيّة، التي لم ترد في غيرها من السّور، فمن الأفعال: ﴿تُقَلِّبُونَ ﴿٣١﴾﴾ [العنكبوت: 21]، و﴿لَنُكَفِّرَنَّ﴾ [العنكبوت: 7]، و﴿يَكْفِيهِمْ﴾ [العنكبوت: 51]، و﴿تَنْهَى﴾ [العنكبوت: 45]، و﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾ [العنكبوت: 69]، و﴿وَلَيَحْمِلُنَّ﴾ [العنكبوت: 13]، و﴿وَيُتَخَطَّفُ﴾ [العنكبوت: 67]، و﴿تَصْنَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: 45]، و﴿وَلَيَسْئَلَنَّ﴾ [العنكبوت: 13]، وغيرها، ومن الأسماء: ﴿مُهْلِكُونَ﴾ [العنكبوت: 31]، ﴿أَوْهَنَ﴾ [العنكبوت: 41]، ﴿مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [العنكبوت: 38]، ﴿أَوْثَنَّا﴾ [العنكبوت: 17]، ﴿وَأَثْقَالًا﴾ [العنكبوت: 13]، ﴿أَثْقَالَهُمْ﴾ [العنكبوت: 13]، ﴿يَحْمِلِينَ﴾ [العنكبوت: 12]، ﴿الْحَيَوَانَ﴾ [العنكبوت: 64]، وغيرها.

ولا شك أن لهذه الأبنية والاشتقاقات ارتباطاً قوياً بمحور السّورة ومقصودها العامّ. سابعاً: حظيت السّورة الكريمة بلفظة تفرّدت بها عن غيرها من السّور من جهة الجذر والمادّة، وهي لفظة ﴿الْعَنْكَبُوتُ﴾، التي سُمّيت السّورة باسمها، ووجه ذلك سبق تقريره، وكذلك لفظة ﴿تَخْطُهُ﴾ في قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [العنكبوت: 48]، وقد جاءت في سياق إثبات مصدريّة القرآن الكريم، ونفي الأباطيل عنه.

ثامناً: وردت كلمة ﴿أَوْثَنَّا﴾ [العنكبوت: 17، 25] مرّتين، وهما الموضعان اللذان وردت فيهما الكلمة منكّرة ومنصوبة، بينما سبقها الموضع الثالث في سورة الحج: ﴿فَاجْتَبِئُوا الرِّجْسَ

(1) الآيات: العنكبوت: 47، 49، ولقمان: 32.

(2) الآيات: 6، 10، 28.

(3) الآيات: الحج: 30، والعنكبوت: 17، 25.

(4) للوضعان الآخران: النحل: 7، والزلزلة: 2.

مِنَ الْأَوْتَانِ ﴿[الحج: 30]﴾ والذي جاءت فيه الكلمة معرفة بـ (أل) ، وكذلك انفردت السورة الوحيدة ببعض التراكيب، منها: ﴿يَحْمِلِينَ﴾ [العنكبوت: 12] و﴿فِتْنَةُ النَّاسِ﴾ [العنكبوت: 10] و﴿وَأَصْحَابُ السَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت: 15] و﴿النَّشْأَةُ الْآخِرَةُ﴾ [العنكبوت: 20] ، وفيها الموضع الوحيد الذي وردت فيه صيغة الجمع ﴿حَظَائِلُهُمْ﴾ [العنكبوت: 12] ، إلى غير ذلك مما انفردت به السورة الكريمة.

❁ بيان المناسبة بين السورة وسابقتها ولاحقتها:

مناسبة السورة لما قبلها (سورة القصص):

جاءت العنكبوت في الترتيب المصحفي بعد سورة القصص، وقد تقدّم هناك بعض وجوه الصّلات بينهما، ومنها:

أولاً: ذُكر في القصص استعلاءُ فرعون وجبروته، وجعلُه أهلها شيعاً، وافتُتحت العنكبوت بذِكر المؤمنين الذين فتنهم المشركون، وعذبوهم على الإيمان، دون ما عذب به فرعون بني إسرائيل؛ تسليّة لهم بما وقع لمن قبلهم، وحثاً لهم على الصّبر، كما قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

ثانياً: ذُكرت في القصص نجاةُ موسى من فرعون وهربه منه، ثمّ عودُه إلى مصر رسولاً نبياً، ثمّ ظفره من بعدُ بغرق فرعون وقومه ونصره عليهم نصراً مؤزّراً، وذُكرت في العنكبوت نجاةُ نوح عليه السلام وأصحاب السّفينة، وإغراق من كذّبه من قومه.

ثالثاً: نعى في القصص على عبدة الأصنام والأوثان، وذَكَرَ أَنَّهُ يَفْضَحُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، وفي العنكبوت نعى عليهم أيضاً، وبيّن أَنَّهُمْ فِي ضَعْفِهِمْ كَضَعْفِ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ.

رابعاً: في القصص قصّ عليهم نبأ قارون وفرعون، وفي العنكبوت ذكرهما أيضاً، وبيّن عاقبة أعمالهما.

العنكبوت
متصلة تماماً
بسورة
القصص
والرّوم مضموناً
وأسلوباً

خامسًا: ذكر في القصص في الخاتمة الإشارة إلى هجرة النبي ﷺ في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾، وفي العنكبوت أشار إلى هجرة لوط عليه السلام: ﴿فَقَامَنْ لَهُ لُوطُ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: 26]، كما أشار بعدها إلى هجرة المؤمنين بقوله: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ [العنكبوت: 56] (1).

مناسبة السورة لما بعدها (سورة الروم):

وأما وجه ارتباطها بسورة الروم؛ فتتشابه سورة الروم وسورة العنكبوت في المطلع، فإنَّ كلاَّ منهما افتُتِحَ بـ ﴿الْم﴾.

وقد أوجز الدكتور الزُّحيلي بعض وجوه اتِّصال السُّورتَيْنِ؛ ومنها:

الأوَّل: أنَّ سورةَ العنكبوت بُدِئَتْ بالجهاد، وخُتِمتَ به: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، وبُدِئَتْ سورة الروم بوعد المؤمنين بالغلبة والنَّصر، وهم يجاهدون في سبيل الله تعالى.

الثَّاني: أنَّ الاستدلال في سورة الروم على أصول الاعتقاد - وأهمُّها التَّوْحِيدُ - جاء مُفَصَّلًا للمُجمل في سورة العنكبوت، مثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [العنكبوت: 19] ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: 20].

الثَّالث: ترتَّب على التفرقة بين المشركين وأهل الكتاب في العنكبوت أنَّ أبغَضَ المشركون أهلَ الكتاب، وتركوا مراجعتهم في الأمور، وكانوا من قبل يراجعونهم في الأمور، وسببُ البغضاء أنَّ المشركين في جدالهم نُسبوا إلى عدم العقل: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: 63]، وطلب مجادلة أهل الكتاب بالحسنى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: 46]، وكان أهل الكتاب يوافقون النَّبيَّ في الإله، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُنَّاءُ وَاللُّهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ [العنكبوت: 46]، فلمَّا غلب أهل الكتاب حين قاتلهم الفرسُ المجوس؛ فرح المشركون بذلك، فأنزل الله تعالى أوائل سورة الروم لبيان أنَّ الغلبة لا تدُلُّ على الحقِّ، وإنَّما قد يريد الله تعالى مزيد ثواب في المحب، فيبتليه، ويسلِّط عليه الأعادي، وقد يختار للمعادي تعجيل العذاب الأدنى، دون العذاب الأكبر يوم القيامة.

(1) (الراعي، تفسير الراعي: 20 / 109).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 41، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-92-1

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 41: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-92-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16 م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»